من غزوات الرسول

غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ

تأليف : حازم عفيفى

تصميم : عبدالله خلف

من غزوات الرسول

غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

عفيفي، حازم

من غزوات الرسول : غزوة الخندق / تأليف حازم عفيفي

: رسوم عبدالله خلف - القاهرة : مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع ، ٢٠١٩ .

٣٢ ص : ٢٣ سم - (من غزوات الرسول)

تدمك ٩٧٨-٩٧٧-٦٧٤٧-٠٢-٩

١- غزوة الخندق

٢- السيرة النبوية عصر الجهاد في سبيل نشر الدعوة

أ- خلف ، عبدالله (رسام)

ب- العنوان

٢٥٦

رقم الإيداع : ١٤٤٣٨ / ٢٠١٩

انْقَلَبَتْ الأَوْضَاعُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ بِمُخَالَفَةِ الرُّمَاةِ لأَمْرِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لِيَمُرَّ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْمُسْلِمُونَ بِمِحْنَةٍ شَدِيدَةٍ مِنْ الْهَزِيمَةِ، وَضَيَاعِ نَصْرٍ كَبِيرٍ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كَنَصْرِ يَوْمِ بَدْرٍ، ثُمَّ مَا أَصَابَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ جِرَاحٍ وَإِصَابَاتٍ شَدِيدَةٍ، وَمَا جَرَى مِنْ قَتْلِ لِسَبْعِينَ مِنْ أَبْطَالِ الْمُسْلِمِينَ.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ، إِلاَّ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي النِّهَايَةِ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَتَمَاسَكُوا وَيَتَجَمَّعُوا حَوْلَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيُدَافِعُوا عَنْهُ، وَيَحْمُوهُ، وَيَشُقُّوا طَرِيقًا آمِنًا لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيَحْتَمِي فِي النِّهَايَةِ فِي شِعَابِ جَبَلِ أُحُدٍ بَعِيدًا عَنْ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ حَاوَلُوا بِكُلِّ طَرِيقَةٍ قَتْلَهُ.

وَبَشَّرَ رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَصْحَابَهُ قَائِلاً:

- اللهُ أَكْبَرُ، أَعْطَانِي اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، أَبْشِرُوا، وَاللهِ إِنِّي لأَنْظُرُ إِلَى قُصُورِهَا الْحَمْرَاءِ الآنَ.

ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ضَرْبَةً ثَانِيَةً، فَقَطَعَ جُزْءًا كَبِيرًا مِنْهَا.

وَقَالَ رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُبَشِّرًا أَصْحَابَهُ:

- اللهُ أَكْبَرُ، أَعْطَانِي اللهُ مُلْكَ فَارِسَ، أَبْشِرُوا، وَاللهِ إِنِّي لأُبْصِرُ قُصُورَ الْمَدَائِنِ الأَبْيَضِ الآنَ.

ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ضَرْبَةً ثَالِثَةً فَتَفَتَّتَ الْحَجَرُ، وَصَارَ تُرَابًا.

وَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

- اللهُ أَكْبَرُ، أَعْطَانِي اللهُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، أَبْشِرُوا، وَاللهِ إِنِّي لأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي.

وَكَانَ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ يُؤْمِنُونَ بِصِدْقِ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّذِي وَعَدَهُمْ بِنَصْرِ اللهِ تَعَالَى لَهُمْ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ صُعُوبَةِ مَوْقِفِهِمْ وَاجْتِمَاعِ الْمُشْرِكِينَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ لِلْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ، لَيْسَ هَذَا فَقَطْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِصِدْقِ مَا وَعَدَهُمُ اللهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ فَتْحِ بِلَادِ الرُّومِ، وَالْفُرْسِ، وَالْيَمَنِ، وَانْتِشَارِ دِينِ اللهِ فِي الأَرْضِ!

وَوَاصَلَ الْمُسْلِمُونَ عَمَلَهُمْ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ، فَكَانُوا يَحْفُرُونَ طِوَالَ النَّهَارِ بِجِدٍّ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ فِي الْمَسَاءِ لِلنَّوْمِ، وَيَعُودُونَ فِي الصَّبَاحِ إِلَى مَكَانِ الْخَنْدَقِ لِيُوَاصِلُوا الْحَفْرَ، حَتَّى اكْتَمَلَ لَهُمْ حَفْرُ الْخَنْدَقِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ جَيْشُ الْمُشْرِكِينَ الْجَرَّارُ.

وَكَانَ جَيْشُ الْمُشْرِكِينَ كَبِيرًا يَمْلَأُ الْوَادِيَ، فَلَمَّا رَآهُ أَهْلُ النِّفَاقِ فِي الْمَدِينَةِ تَزَعْزَعَتْ قُلُوبُهُم، وَسَخِرُوا مِنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاسْتَهْزَأُوا بِوُعُودِ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَهُمْ بِالنَّصْرِ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَفَتْحِ بِلَادِ الرُّومِ وَالْفُرْسِ!

أَمَّا الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ فَزَادَهُمُ اللهُ تَثْبِيتًا فِي دِينِهِمْ، وَإِيمَانًا بِصِدْقِ الله تَعَالَى وَرَسُولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُمْ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ شِعَارُهُمْ يَوْمَهَا: "هُمْ لاَ يُنْصَرُونَ".

وَاسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِجَمْعِ النِّسَاءِ وَالصِّغَارِ فِي حِصْنٍ مُرْتَفِعٍ مِنْ حُصُونِ الْمَدِينَةِ، لِيَكُونُوا فِي أَمَانٍ إِذَا تَعَرَّضَتْ الْمَدِينَةُ لِهُجُومِ الْمُشْرِكِينَ.

وَوَقَفَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ وَرَاءِ الْخَنْدَقِ الَّذِي حَفَرُوهُ فِي شَمَالِ الْمَدِينَةِ يَحْرُسُونَهُ بِكُلِّ حَمَاسٍ وَهِمَّةٍ، وَهُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِرَدِّ الْمُشْرِكِينَ بِالسِّهَامِ، كَيْ لاَ يَسْتَطِيعُوا عُبُورَ الْخَنْدَقِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَفُوجِئَ جَيْشُ الْمُشْرِكِينَ الْمُتَجَمِّعِينَ لِغَزْوِ الْمَدِينَةِ (الأَحْزَاب) بِالْخَنْدَقِ أَمَامَهُمْ، وَكَانَتْ حِيلَةً لاَ تَعْرِفُهَا الْعَرَبُ مِنْ قَبْلُ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا عُبُورَهُ إِلَى الْجَانِبِ الآخَرِ، فَوَقَفُوا فِي حَيْرَةٍ شَدِيدَةٍ، وَتَوَقَّفُوا عَنِ التَّقَدُّمِ، وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَهُمْ إِلاَّ أَنْ يَظَلُّوا فِي أَمَاكِنِهِمْ، فَعَسْكَرُوا وَفَرَضُوا حِصَارًا شَدِيدًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ وَرَاءِ الْخَنْدَقِ.

كَانَ فُرْسَانُ الْمُشْرِكِينَ يَتَجَوَّلُونَ حَوْلَ الْخَنْدَقِ بَحْثًا عَنْ مَوْضِعٍ ضَيِّقٍ يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَقْفِزُوا بِخُيُولِهِمْ إِلَى الْجَانِبِ الآخَرِ مِنْ خِلاَلِهِ، وَالْمُسْلِمُونَ مِنَ الْجَانِبِ الآخَرِ يَحْرُسُونَ الْخَنْدَقَ، وَيَتَتَبَّعُونَ حَرَكَةَ الْمُشْرِكِينَ وَيَرْمُونَهُمْ بِالنِّبَالِ، فَيَبْتَعِدَ هَؤُلاَءِ الْكَافِرُونَ بِالْقَدْرِ الْكَافِي حَتَّى لاَ تُصِيبَهُمْ سِهَامُ الْمُسْلِمِينَ،

كَمَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَرْمُونَ الْمُسْلِمِينَ بِسِهَامِهِمْ، وَالْمُسْلِمُونَ يَتَحَصَّنُونَ مِنْهُمْ بِالدُّرُوعِ.

وَظَلَّ الْوَضْعُ هَكَذَا، لَمْ يَسْتَطِعْ الْمُشْرِكُونَ عُبُورَ الْخَنْدَقِ، وَلاَ أَنْ يَرْدِمُوهُ أَوْ يُقِيمُوا عَلَيْهِ جِسْرًا، حَتَّى ضَاقَ بِهَذَا الْوَضْعِ عَدَدٌ مِنْ فُرْسَانِ قُرَيْشٍ، وَقَرَّرُوا عُبُورَهُ إِلَى الْجَانِبِ الآخَرِ لِيُهَاجِمُوا مُعَسْكَرَ الْمُسْلِمِينَ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدٍّ، وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ وَغَيْرُهُمْ، فَاخْتَارُوا أَضْيَقَ مَوَاضِعِ الْخَنْدَقِ فَقَفَزُوهَا بِخُيُولِهِمْ مِنْهُ، حَتَّى أَصْبَحُوا عَلَى الْجَانِبِ الآخَرِ، وَجَالُوا بِخُيُولِهِمْ فِي مُعَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ.

وَفُوجِئَ الْمُسْلِمُونَ بِفُرْسَانِ قُرَيْشٍ وَقَدْ عَبَرَتْ إِلَيْهِمْ، وَأَسْرَعَ إِلَيْهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَدَدٌ مِنْ فُرْسَانِ الْمُسْلِمِينَ لِقِتَالِهِمْ.

وَدَعَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدٍّ فَارِسِ الْعَرَبِ الْعَنِيدِ الْمُسْلِمِينَ لِيَخْرُجَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلَى مُبَارَزَتِهِ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ كُلُّهَا تَعْرِفُ قُدْرَتَهُ وَتَهَابُهُ.

وَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِمُبَارَزَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ وُدٍّ، وَحَدَثَتْ بَيْنَهُمَا مُبَارَزَةٌ طَوِيلَةٌ انْتَهَتْ بِانْتِصَارِ عَلِيٍّ وَمَقْتَلِ الْكَافِرِ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ وَرَاءَهُ فَرَحًا.

وَفَرَّ فُرْسَانُ الْمُشْرِكِينَ مُنْهَزِمِينَ، وَأَلْقَوْا رِمَاحَهُمْ وَسِلاَحَهُمْ، وَهُمْ يَفِرُّونَ فِي ذُعْرٍ، لِيَعُودُوا مِنْ حَيْثُ جَاءُوا.

وَلَمْ يَيْأَسِ الْمُشْرِكُونَ فَحَاوَلُوا بِكُلِّ طَرِيقَةٍ عُبُورَ الْخَنْدَقِ، أَوْ رَدْمَهُ، أَوْ إِقَامَةَ جِسْرٍ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَسْمَحْ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ.

وَكَافَحَ الْمُسْلِمُونَ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْخَنْدَقِ كِفَاحًا شَدِيدًا حَتَّى فَاتَتْ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْمُسْلِمِينَ وَقْتُ أَكْثَرَ مِنْ صَلاَةٍ، وَظَلَّ الرَّاشِقُ بِالنِّبَالِ مُسْتَمِرًّا بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ، قُتِلَ فِيهِ سِتَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَعَشَرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

وَقَدْ أُصِيبَ بِالنِّبَالِ مِنْ جَانِبِ الْمُسْلِمِينَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، رَمَاهُ أَحَدُ الْمُشْرِكِينَ بِسَهْمٍ فَقَطَعَ عِرْقًا فِي ذِرَاعِهِ، فَنَزَفَتْ الدِّمَاءُ بِغَزَارَةٍ.

وَدَعَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَبَّهُ تَعَالَى، فَقَالَ:

- اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُجَاهِدَ قَوْمًا كَذَّبُوا رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي حَتَّى أُقَاتِلَهُمْ فِيكَ، فَإِنْ انْتَهَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الْحَرْبُ، فَاجْعَلْ جُرْحِي يَنْزِفُ الدَّمَ حَتَّى يَكُونَ مَوْتِي.

وَدَعَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ عَلَى يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ الَّذِينَ خَانُوا عَهْدَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والْمُسْلِمِينَ، أَلَّا يُمِيتَهُ اللهُ حَتَّى يَرَى ثَأْرَهُ فِيهِمْ، فَاسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَى دُعَاءَهُ، وَتَوَقَّفَ نَزْفُ الدَّمِ مِنْ جُرْحِهِ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ وَاليَهُودِ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَانَ يَهُودُ بَنِي قُرَيْظَةَ يُجَاوِرُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ، فَعَاهَدَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَاهَدُوهُ عَلَى أَلَّا يَسْمَحُوا لِجُيُوشِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَدْخُلُوا الْمَدِينَةَ مِنْ أَرَاضِيهِمْ، فَخَانُوا الْعَهْدَ، وَتَعَاهَدُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَعَدُّوا الْعُدَّةَ لِيَطْعَنُوا الْمُسْلِمِينَ فِي ظُهُورِهِمْ، وَحَاوَلُوا مُهَاجَمَةَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْخَلْفِ، وَالْمُسْلِمُونَ مُنْشَغِلُونَ بِمَنْعِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عُبُورِ الْخَنْدَقِ.

فَأَثْنَاءَ وُجُودِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ فِي أَحَدِ حُصُونِ الْمَدِينَةِ طَافَ بِهِمْ أَحَدُ يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ يَتَجَسَّسُ عَلَى الْحِصْنِ؛ لِيُخْبِرَ الْيَهُودَ كَيْ يُهَاجِمُوهُ وَيَأْسِرُوا مَنْ فِيهِ، فَشَاهَدَتْهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَنَزَلَتْ إِلَيْهِ، وَضَرَبَتْهُ بِعَمُودِ خَيْمَةٍ، ثُمَّ قَتَلَتْهُ!

وَلَمَّا رَأَى الْيَهُودُ صَاحِبَهُمْ مَقْتُولاً ظَنُّوا أَنَّ بِالْحِصْنِ رِجَالاً يُدَافِعُونَ عَنْهُ، فَهَرَبُوا مَذْعُورِينَ، وَنَجَّا اللهُ تَعَالَى نِسَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَذُرِّيَّتَهُمْ بِفَضْلِ شَجَاعَةِ وَبُطُولَةِ الصَّحَابِيَّةِ الْجَلِيلَةِ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- عَمَّةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأُمِّ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ حَوَارِيِّ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَلَمْ يَتَجَرَّأِ الْيَهُودُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مُهَاجَمَةِ الْحُصُونِ الَّتِي تَحْفَظُ النِّسَاءَ وَالذُّرِّيَّةَ، لَكِنَّهُمْ ظَلُّوا عَلَى غَدْرِهِمْ بِالْمُسْلِمِينَ يَمُدُّونَ جَيْشَ الْمُشْرِكِينَ بِالطَّعَامِ وَالسِّلَاحِ، وَيُغْرُونَهُمْ بِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ.

وَبَلَغَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَبَرُ يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَرَادَ أَنْ يَتَأَكَّدَ وَيَتَبَيَّنَ الْحَقِيقَةَ، فَبَعَثَ وَفْدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- إِلَى يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ لِيَعْلَمُوا هَلْ خَانُوا الْعَهْدَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ أَمْ لَا؟

وَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا وَجَدُوا يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ مُتَمَسِّكِينَ بِعَهْدِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُعْلِنُوا هَذَا فِي مَجْلِسِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى يَطْمَئِنَّ النَّاسُ، أَمَّا إِذَا وَجَدُوهُمْ قَدْ خَانُوا عَهْدَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَقُولُوا كَلِمَةً يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَحْدَهُ، وَلاَ يَعْرِفُهَا بَاقِي الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى لاَ تَضْعُفَ رُوحُهُمُ الْمَعْنَوِيَّةُ.

وَذَهَبَ الْوَفْدُ الإِسْلاَمِيُّ إِلَى يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَظْهَرَ لَهُمُ الْيَهُودُ الْعَدَاوَةَ، وَسَبُّوهُمْ، وَقَالُوا: لاَ عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلاَ عَقْدَ.

فَانْصَرَفَ وَفْدُ الْمُسْلِمِينَ فِي حَالَةٍ مِنَ الْحُزْنِ وَالْغَضَبِ عَلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ لاَ يَحْتَرِمُونَ الْعُهُودَ، وَقَدْ خَانُوا وَغَدَرُوا، وَجَاءَ الْوَفْدُ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَكَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَقَالُوا: عَضَلٌ وَالْقَارَةُ!

وَهُمَا الْقَبِيلَتَانِ مِنَ الْعَرَبِ اللَّتَانِ غَدَرَتَا بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الرَّجِيعِ، وَكَانَ أَصْحَابُ الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَهَا عَشَرَةً، فِيهِمْ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَخُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَرْسَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَيْهِمْ فِي عَامِ ٤ هـ لِيُعَلِّمُوهُمْ دِينَهُمْ، فَغَدَرُوا بِهِمْ وَقَتَلُوهُمْ جَمِيعًا، فَحَزِنَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَيْهِمْ حُزْنًا شَدِيدًا، وَحَزِنَ الْمُسْلِمُونَ، وَكَانَتْ خَسَارَةً كَبِيرَةً لِلإِسْلاَمِ.

وَمُرُورِ الْوَقْتِ، شَاعَ الأَمْرُ وَعُرِفَ الْمَوْقِفُ الْحَرِجُ الَّذِي أَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ، فَوَرَاءَ الْخَنْدَقِ يَقِفُ جَيْشٌ جَرَّارٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُحَارِبُ الْمُسْلِمِينَ لَيْلَ نَهَارٍ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ الْمُسْلِمُونَ تَرْكَ أَمَاكِنِهِمْ فِي مُوَاجَهَتِهِ، فِي حِينِ كَانَ الْيَهُودُ يُعِدُّونَ الْعُدَّةَ لِضَرْبِهِمْ مِنَ الْخَلْفِ!

وَيُمْكِنُ لِهَؤُلاَءِ الْيَهُودِ أَنْ يَقُومُوا بِعَمَلٍ يُشَكِّلُ خُطُورَةً كَبِيرَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ أَنْ يَسْمَحُوا لِجُيُوشِ الْمُشْرِكِينَ بِدُخُولِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْجَنُوبِ، عَبْرَ أَرَاضِيهِمْ وَدِيَارِهِمْ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُرْسِلُ حَرَسًا إِلَى حُصُونِ النِّسَاءِ وَالذُّرِّيَّةِ، حَتَّى لاَ يَقَعُوا فِي أَسْرِ الْيَهُودِ أَوِ الْمُشْرِكِينَ.